

* كتب أجنبية مختارة

** قراءات من حصاد المراكز البحثية

سمير كرم

مستشار المدير العام - مركز دراسات الوحدة العربية.

أولاً: كتب أجنبية مختارة

(١)

أكثر انتقاداً لحكمه الأوتوقراطي». والسؤال
المضمر مفهوم: هل يحتمل الأمر كتاباً آخر
عن سيرة ناصر؟ والإجابة التي يعنيهها
صدرور الكتاب هي: نعم.

الروح التي أوصلت «ناصر»
إلى السلطة لا تزال حية اليوم..

Anne Alexander. *Nasser: Life and Time*. London: Haus Publishing Limited, 2005. 192 p.

وتصف المؤلفة كتابها بأنه سيرة
تستكشف حياة ناصر في سياق زمانه
المضطرب. وهو وصف ينطوي على قدر
واضح من التواضع يدركه قارئ الكتاب..
وبخاصة عندما يعرف حجم الجهد الذي
بذلته، على الرغم من صغر حجم الكتاب
نسبياً. لقد تحملت - مثلاً - عبء ترجمة
النصوص التي رجعت إليها من خطب عبد
الناصر، لأن ما وجدته منها مترجماً كان
سيئ الترجمة إلى حد «يظلم عبد الناصر في
قدرته الفائقة على التعبير عن أفكاره
للجماهير العربية، وفي امتلاكه ناصية لغة
أبناء البلد، وفي الوقت نفسه لغة الدبلوماسية
الدولية»، بل إنها اضطرت إلى أن تعيد ترجمة
كتاب عبد الناصر **فلسفة الثورة** لأن
الترجمات التي أخرجت له في وقته كانت،

ترد أن ألكسندر مؤلفة هذا الكتاب على
سؤال تعرف أنه سيطلع تلقائياً في ذهن كل
من تقع عينه على كتابها **ناصر** قائلة: «بعد
أكثر من ثلاثين سنة على رحيله يبقى جمال
عبد الناصر واحداً من شخصيات العالم
العربي العملاقة. كان واحداً من مجموعة
صغيرة من ضباط شبان أطاحوا الملك
فاروق. كان (ناصر) في السادسة والثلاثين
من عمره حينما أصبح زعيم مصر بغير
منازع... ولا يزال كثيرون في العالم العربي
معجبين بتحدى القوى الاستعمارية ونزوعه
إلى رفع مستويات المعيشة عن طريق تحديث
اقتصاد مصر، ولكن آخرين يتخذون موقفاً

بأن «سياسة السادات الاقتصادية أعادت مصر إلى القرن التاسع عشر، إلى أيام الخديوي إسماعيل الذي حول مصر إلى مشهد للنهب على نطاق واسع ومنظم، وهذا ما شهدناه في سنوات السادات الأخيرة».

ولعل من أهم التساؤلات التي تطرحها المؤلفة ألكسندر وتبحث لها عن إجابة: هل نحن بصدد ناصرية بلا ناصر؟ وتقول: بينما كان ناصر في السلطة كانت جاذبيته قائمة على صورته كزعيم «كاريزمي» يستطيع أن يرتفع فوق الطبقة الاجتماعية والتقسيمات السياسية ليمثل الأمة بأسرها... إن تأثير صورة ناصر الشعبية ذو حدين - فهو من ناحية - خلق حنيناً (نوستالجياً) إلى حقبة ناصر: في عام ١٩٩٦ خرج الجمهور أفواجا إلى دور السينما لمشاهدة فيلماً يصور كيف كان عبد الناصر يتصرف في وقت أزمة السويس. ومرة أخرى في معرض القاهرة للكتاب لا تزال البومات صور حياة ناصر المطبوعة على ورق فاخر تسجل أفضل المبيعات، وكذلك الحال في مكتبات القاهرة. لكن - من ناحية أخرى - فإن شعبية ناصر لم تترجم إلى حزب يمكنه أن يضمن استدامته بصورة مستقلة عن الدولة المصرية.

وحتى هذه الإجابة من المؤلفة البريطانية تعكس رأياً سائداً منذ زمن طويل في الأوساط السياسية العربية، بما فيها الأوساط المصرية. وهي - في هذا الخط - تؤكد أن كثيراً مما ناضل عبد الناصر من أجله في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي يبقى مقنعاً وفعالاً لجيل جديد، ذلك أن سنوات من التكيف الهيكلي لم تأت بالرخاء لمعظم المصريين. وتحالف الحكومة الذي استمر عقوداً مع الولايات المتحدة لم

بدورها، دون مستوى الأفكار التي احتواها هذا الكتاب الذي يجمع بين أفكار عبد الناصر السياسية وشذرات من سيرة حياته.

قدرة أن ألكسندر الوصفية تتجاوز ما هو متوافر عادة لدى المراسلين الصحفيين مثلها، ذلك أن بينها وبين موضوع كتابها درجة من التأثير الوجداني تعمق تأييدها لمواقفه... تظل هذه سمة واضحة من بدايات سيرة عبد الناصر حتى وصفها لمواقفه «الأخيرة» في مؤتمر القمة الذي دعا إليه لإنهاء أزمة الفلسطينيين في الأردن... وتمتد بعد ذلك إلى وصفها الدقيق لجنازته بعد ذلك بثلاثة أيام. وتقول المؤلفة ان الأبيات الأولى في قصيدة نزار قباني - التي نشرت في العام التالي - لخصت الحالة الوجدانية لذلك الوقت: «يا آخر الأنبياء لقد قتلناك». ورأيها السياسي الصريح هو «أن جنازة عبد الناصر بدت ترسم علامة فاصلة في ثقافة مصر السياسية. وأولئك الذين خلفوه ما استطاعوا أبداً أن يجعلوا الشوارع تموج بالناس بالطريقة نفسها. في جنازة أنور السادات الذي اغتالته جماعة الجهاد الإسلامية في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨١ سار قادة العالم في شوارع شبه خالية خلف نعش الرئيس».

في أجزاء كثيرة من الكتاب يخالج القارئ شعور بأن الكاتبة كأنما هي قومية عربية ناصرية... على الرغم من أنها تطرح أسئلة جريئة للغاية: كم من الطريق الذي قطعه السادات إلى الإنتاج الاقتصادي والتوافق مع الغرب كان يمكن أن يقطعه عبد الناصر لو أنه عاش؟ لكن الإجابات التي تقدمها مستمدة في معظمها من شعارات الجماهير في تظاهرات المدن المصرية ضد الانفتاح... أو إجابات محمد حسنين هيكل

قلة من المؤلفين هذه الأيام. إنها تصوغ قائمة محتويات كتابها بصورة واضحة ومباشرة، بلا غموض ولا رمزية، لتعكس تماماً ما يقدمه الكتاب إلى القارئ. وهو ما ينطبق أيضاً - وبداية - على عنوان الكتاب **عالم يحترق: كيف يغذي تصدير ديمقراطية السوق الحرة الحقد العرقي وعدم الاستقرار العالمي.**

لهذا فإن أقصر الطرق إلى إيضاح مضمون هذا الكتاب - وكذلك توجهه وأهدافه - يكون برصد قائمة المحتويات.. إنها في الحقيقة بمثابة خطة أو خريطة واضحة تماماً لما في عقل المؤلفة (وشوا هي أستاذة في كلية الحقوق في جامعة ييل (Yale) الأمريكية البارزة).

يبدأ الكتاب بمقدمة عن العولمة والحقد العرقي حيث تشرح عواقب تصدير ديمقراطية السوق الحرة - وهو بالتحديد ما تتزعمه أمريكا مع تركيز خاص على الشرق الأوسط في الآونة الأخيرة - حيثما تكون هناك أقلية ما في موقع السيطرة في بلد، فإن ما يحدث غالباً هو انفجار حالة من الكراهية الجماعية والعنف العرقي... وهو وضع يمكن أن يشمل «كل أنحاء العالم غير الغربي».

وترصد المؤلفة في أقسام كتابها الثلاثة ثلاثة أنواع من «الحركة الارتجاعية» (أي رد الفعل العكسي الحاد)، نوع أول ضد الأسواق، وثان ضد الديمقراطية، وثالث ضد الأقليات المهيمنة على الأسواق الخاضعة لهيمنة الأقليات، ويأتي هذا تحت تقسيم عام لآثار العولمة إلى الآثار الاقتصادية والآثار السياسية. وفي إطار الآثار الاقتصادية للسيطرة للعولمة يعالج الكتاب حالات معينة: سيطرة الأقليات الصينية في شرق آسيا، «الثروة

ينجح في جلب سلام إلى الشرق الأوسط ولم يؤمن عدالة للفلسطينيين. وبعد انقضاء قرابة خمسين عاماً على الإطاحة بالملكية في العراق عادت القوات الأجنبية تحتل دولة عربية رئيسية. وبالنسبة إلى كثيرين في العالم العربي فإن وجود القوات الأمريكية والبريطانية على التراب العربي هو ببساطة عودة إلى الاستعمار في صيغته القديمة.

هكذا نلمس كيف أن آل كسندر توظف سيرة عبد الناصر في مناقشة الوضع العربي الراهن في ضوء «زمانه المضطرب»، وحتى في ضوء الانتقادات التي توجه إليه وإلى حقبة برمتها. وهذا ما يميز كتابها من السَّيرَ العديدة التي كتبت عن عبد الناصر في الوطن العربي وفي الغرب على السواء. وهي تخلص في ختام كتابها إلى «أن الأمور التي كانت تغضب عبد الناصر وأصدقاءه تستمر في إثارة غضب أجيال جديدة من النشطاء. وبمعنى ما فإن بين المحتجين اليوم أموراً كثيرة مشتركة مع نشطاء الأربعينيات (من القرن الماضي). إنهم لا يجدون صدق يذكر بين الأحزاب القائمة في مصر التي هي غائبة إلى حد كبير عن الشارع. والاستعمار البريطاني استبدل بإمبريالية أمريكية كهدف لاحتجاجاتهم... لقد أزيل داخل الدولة المصرية كثير من ميراث ناصر. مع ذلك ففي الشوارع نجد أن الروح التي أوصلته فجأة إلى السلطة ربما لا تزال حية».

(٢)

Amy Chua. *World on Fire: How Exporting Free Market Democracy Breeds Ethnic Hatred and Global Instability*. New York: Random House; Anchor Books, 2004. ix, 346 p.

نتنهج آمي شوا مؤلفة هذا الكتاب نهج

– السياسي والجيوسياسي على أن «العولمة قد خلقت تركيبة ملفقة سريعة الاشتعال من الأسواق الحرة والديمقراطية، أدت إلى إحداث دمار اقتصادي واسع، وحقد عرقي، وعنف يرقى إلى مستوى الإبادة الجماعية في أنحاء العالم الثالث.

تبقى نقطة على درجة عالية من الأهمية تتمثل في ما تؤكد المؤلفات من أن الغرب – الولايات المتحدة بصفة خاصة – ثابر في السنوات الأخيرة على الدعوة إلى صيغة من الرأسمالية الديمقراطية في بلدان تسودها اضطرابات حادة – وبخاصة في الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا – صيغة لم يتبنها الغرب نفسه أبداً في بلاده. إن الصيغة التي أخذ ويأخذ بها الغرب من الرأسمالية والديمقراطية اعتمدت آليات جذبت بلدانه الصراعات العرقية والعنف الجماعي.

وهذه النقطة تثير التساؤل: هل يعي الغرب هذه الحقيقة ويتجاهلها عامداً؟

(٣)

Peter Heather. *The Fall of the Roman Empire: A New History of Rome and the Barbarians*. London; Macmillan; New York: Oxford University Press, 2005.

ما أكثر ما كتب المؤرخون – وحتى الروائيون – عن سقوط الإمبراطورية الرومانية، حتى ليتمكن القول إنه لم تحظ بالاهتمام حقبة في التاريخ القديم كما حظيت هذه الحقبة، بل لا بد من أن نضيف أن بعض ما كتب عن سقوط الإمبراطورية الرومانية كان من الاتساع والعمق حتى احتل مكانة لا يمكن المؤرخين المحدثين تجاوزها. هناك على سبيل المثال كتاب **صعود وسقوط الامبراطورية الرومانية** للمؤرخ البريطاني

البيضاء» في أمريكا اللاتينية، «أصحاب المليارات اليهود» في روسيا ما بعد (سقوط) الشيوعية، والأقليات المهيمنة على السوق في أفريقيا.

ويتناول الكتاب في القسم الثالث – تحت عنوان القومية العرقية والغرب – ما تسميه المؤلفات شوا «الجانب المنحط من ديمقراطية السوق الحرة الغربية»، وتخصص بعده فصلاً بعنوان «الرجل الشرق أوسطي: اليهود الإسرائيليون كأقلية مهيمنة على السوق الإقليمية». وفي اعتقادنا، أن هذا الفصل يعالج وضع إسرائيل في الشرق الأوسط من زاوية لم تعالج منها سابقاً – أو مناهضة العولمة، وهي ثغرة يشارك فيها أنصار العولمة ومعارضوها، تتمثل في إغفالهم على الأقل – لم تحظ باهتمام كاف. وتسند المؤلفات ثغرة ظلت موجودة منذ بداية حركة «البعد العرقي في تفاوتات السوق» بسبب الاهتمام برؤية البعد الطبقي وحده. وفي نظرتها هذه تعتبر يهود إسرائيل أقلية تهيمن على السوق الإقليمية متضامنة مع اليهود الأمريكيين في «قوة عالمية واحدة تهيمن من خلال السوق». وفي فصل تال يحمل عنوان «لماذا يكرهوننا» تركز المؤلفات على الولايات المتحدة لكنها تحرص على وصف اليهود الأشكنازيين باعتبارهم أقلية تسيطر على السوق.

وهكذا يتضح أن شوا – على الرغم من اتخاذها مواقع وتوجهات «تقدمية» إلا أنها تفلتت من القوالب الأيديولوجية النظرية سواء في تناولها قضايا العولمة أو دور الرأسمالية العالمية. مع ذلك يبقى واضحاً هدفها النهائي في هذا الكتاب وهو تقديم الأدلة الموضوعية من عالم اليوم الاقتصادي

المؤرخون بتعبير الإمبراطورية الرومانية المتأخرة... التي بلغت نهايتها في عام ٤٧٦ بخلع آخر أباطرة روما رومولس. ولعل من أبرز نقاط قوة هيثر في منهجه في تأليف هذا الكتاب أنه لا يقدم مقارنة مباشرة بين الإمبراطورية الرومانية وأوضاع الإمبراطورية الأمريكية، إن الأمر متروك لعقل القارئ وقدرته على استيعاب درس التاريخ القديم في التاريخ الحديث. وهو في الحقيقة يقدم أدلة جديدة من التاريخ القديم تخالف كثيراً ما كتب من قبل عن سقوط روما. فهو يذهب - بهذه الأدلة - إلى أن تلك الإمبراطورية سقطت بفعل عوامل خارجية... من دون أن تطرأ عليها أعراض تدهور أو انحطاط داخلي هباً لهذا السقوط. وكأنه يقول لقارئ اليوم: لا يغرّنك ما يبدو من دلائل قوة أمريكا الداخلية وتماسكها اقتصادياً وتقدمها التكنولوجي وتخطيها لأزماتها الاجتماعية والعنصرية. فعندما سقطت الإمبراطورية الرومانية تحت وطأة صراعاتها وحروبها الخارجية كان أغنياء الداخل لا يزالون يحتفظون بثرواتهم وأراضيهم وعبيدهم، وكان أمن الإمبراطورية الداخلي متمسكاً ومصاناً عندما وقع الغزو المغولي.

غير أن المؤلف يقر بأن هذا الوضع الداخلي المتميز كان برمته يدار لصالح نخبة تمثل أقلية ضئيلة في المجتمع، أي «الأرستقراطية»... وإن كان لا يسمي هذا الوضع بما يطلقه عليه المؤرخون الماركسيون - مثلاً - وهو أنه وضع استغلال، إنما يعتبره الوضع الطبيعي الناتج

إدوارد غيبون (Edward Gibbon) الذي نشر في عام ١٧٧٦ لكنه لا يزال يحتل مكانة المرجع الأهم في موضوعه حتى اليوم. لهذا يلح السؤال عن السبب في استمرار اهتمام المؤرخين بهذا الموضوع إلى الآن.

الواقع أن ثمة سمة مشتركة بين معظم - إن لم نقل كل - المؤلفات «الحديثة» عن سقوط الإمبراطورية الرومانية، هي التي تقدم الإجابة عن هذا السؤال. وهي أن مؤلفيها يكتبون عن سقوط روما وعينهم على سقوط أمريكا... أي المقارنة التي تبدو شبه مُلزمة بين الأوضاع التي أدت إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية، والأوضاع المشاهدة اليوم في «الإمبراطورية الأمريكية». ولعل واجب الموضوعية يفرض أن نقول إن هذا تقليد ليس جديداً في كتابات المؤرخين الغربيين. لقد بدأه المؤرخ الأمريكي الإيطالي المولد غوغليلمو فيريرو (Guglielmo Ferrero) بكتاب تحت عنوان: **روما القديمة وأمريكا الحديثة: دراسة مقارنة للأخلاقيات والعادات** (*Ancient Rome and Modern America; a Comparative Study of* *Morals and Manners*)، سوى أن كتاب فيريرو هذا الذي كتب قبل بداية الحرب العالمية الأولى لم يتناول موضوعه السقوط في مقارنته بين الإمبراطورية الرومانية والأمريكية^(١).

ويأتي كتاب بيتر هيثر ضمن سلسلة مؤلفات حديثة صب المؤرخون الذين وضعوها اهتمامهم على القرنين الرابع والخامس، وهما القرنان اللذان يلخصهما

(١) Guglielmo Ferrero, *Ancient Rome and Modern America; a Comparative Study of Morals and Manners* (New York; London: G. P. Putnam's Sons, 1914).

الدور المهيمن الذي يمارسه الإعلام على العقل الجماعي والفردى... على الجماعات والأفراد. نعني بهذه الزاوية تلك التي عبر عنها في قوله «إن الناس يرفضون أن يقبلوا حقيقة أن الواقع يتحول إلى شيء لا يمكن تمييزه عن العرض». أليس صحيحاً أنه لم تعد هناك خطوط فاصلة واضحة بين الحقيقة والطريقة التي يصورها بها الإعلام، مرئياً كان أو مقروءاً أو مسموعاً؟

يضاف إلى أهمية هذه المعالجة المتميزة لموضوع الإعلام أنها قريبة في تناول من البعد الفلسفي، الأمر الذي جعلها تقترب من قضايا الوجود الإنساني والوعي الإنساني والعلاقة بينهما... وحتى البعد الديني، ولكن من زاوية فكرية فلسفية، موجود أيضاً. إن الطابع التأملي لم يختلف أمام طبيعة الموضوع الإعلامي، كما إن الموضوع الإعلامي لم يطغ على الجانب التأملي. لهذا يعالج زنگوتيتا موضوع الثقافة الشعبية ليوجه نقده فقط إلى أساتذة الفلسفة الذين يهتمون هذا الموضوع، ويخص بالنقد أبرز أساتذة الفلسفة الأمريكيين، المعاصر ريتشارد رورتي (R. Rorty) صاحب مذهب البراغماتية الجديدة، ويعوض عن تناول التجريدي لدى رورتي بالاستفاضة في دور عملية التنشئة الاجتماعية (Socialization) حيث يتغلغل عميقاً في التأثيرات التي يتعرض لها الأطفال من الواقع البديل الإعلامي (التلفزيوني بخاصة) - والذي أصبح يشار إليه في الإنكليزية بكلمة (Virtual) التي تعني الحقيقي أو الفعلي (...). ويتابع هذه التأثيرات على المراهقة وما بعدها... حيث «الحياة في طوفان من المسطحات التي تتطلب انتباهاً، حياة تعني حركة دائمة نموذجها هو التلفزيون...

من تقسيم الأدوار - لا «تقسيم العمل» - بين الأرستقراطية والمنتجين. وهو لهذا يذهب إلى أن في الحقبة الأخيرة من حياة الإمبراطورية الرومانية لم تكن هناك طبقة أخرى - غير الطبقة الأرستقراطية - قادرة على أن تقود المجتمع في اتجاه مغاير لمتنوع السقوط. وهي نقطة تعيده إلى الاعتراف - ربما من حيث لا يريد - بأن العامل الداخلي أدى دوره في النهاية، فوضع المسمار الأخير في نعش الإمبراطورية الرومانية.

(٤)

Thomas de Zengotita. *Mediated: How the Media Shapes Your World and the Way You Live in It*. London: Bloomsbury, 2005. 291 p.

هل - فعلاً - يستطيع كتاب أن يحدد الطرق التي يسلكها الإعلام في عالمنا الراهن لكي يشكل عالمنا، أي حياتنا وتصوراتنا ورؤانا وكذلك الطريقة التي نعيش بها في هذا العالم؟

على الأقل هذا ما يزعمه عنوان كتاب توماس زنگوتيتا. فهل صدق في زعمه أم أنه تجاوز في العنوان حدود ما قدمه في النص؟ يبدو لنا أنه على الرغم من الجهد المبذول في الكتاب وموضوعه، وعلى الرغم من أن المؤلف أستاذ يعلم مادة الإعلام في «هارفارد»، وعلى الرغم من أن القارئ يمكن أن يتفق معه في معظم ما يذهب إليه، إلا أن العنوان يبقى فضفاضاً... أوسع من أي معالجة محدودة بكتاب.

مع ذلك فلو أننا اقتصرنا على زاوية واحدة معينة من الزوايا الكثيرة التي عالجه المؤلف، يمكننا أن نخرج بقناعة أنه وضع يده على واحد من أهم مواضع الخطر في

سببته قد تحول إلى قلق عام والإمكانية هي أن يطارد إرهاب جماعي العالم. فإذا لم نتفق على أننا جميعاً نشارك في الإنسانية فإننا يمكن فعلاً أن نفجر أنفسنا.

هذا كتاب يثير الخوف... لكنه لا يعتمد التنديد بالبشر قدر ما يعتمد تحذير البشرية. وأهم ما يحذر منه هو أننا بتأثير الإعلام (وهو يضيف إلى أدواته الهاتف الخلوي/المحمول!) أصبحنا نشعر بأن كل شيء يتطلب منا أن ننتبه له، وليس لدينا من الوقت ما يكفي لا بالمعنى الحرفي، ولا بالمعنى المجازي لتحقيق ذلك. لهذا فإن حركتنا خلال القرون الأخيرة أصبحت أشبه بسيارة تنزلق أكثر منها بالمسيرة الثابتة التي نخدع أنفسنا في الاعتقاد فيها، ظناً، أن هذا هو التقدم.

حياة تتعرض فيها باستمرار لخطر فقدان شعورنا بالانتماء إلى العالم الذي نعيش فيه، حيث نحرم من الشعور بأننا طبيعيون وبأننا مكتملون».

يقول المؤلف إن الهوس بالسرعة جعل من المستحيل بالنسبة إلى كثيرين من الأذكاء أن يميزوا بين ما يستحق أن يبطئوا فيه لكي يمضوا بعضاً من وقتهم معه، أو في تأمله، أو في استيعابه. فهل من علاج؟ يدعونا المؤلف إلى أن نعود إلى فلسفات ديكرت، ولوك، ونيتشه. هذا وحده ما يمكن أن يجبرنا على أن ننظر إلى أنفسنا بعيون هؤلاء الفلاسفة ونصمت ونتعجب: إلى أين نحن مسرعون؟

لكن ماذا لو لم نفعل؟ يتذكر المؤلف ١١ أيلول/سبتمبر ويقول إن الفرع الذي

ثانياً: قراءات من حصاد المراكز البحثية

(١)

مؤلفه. ولكن الجدير بالملاحظة أن الشؤون الخارجية قدمت لمائدتها المستديرة بعيداً تماماً عن كونها مناقشة لأفكار مقالة بيدل. وهذا ما قالت في التقديم الذي صاغته في صورة سؤال:

«هل يمكن أي شيء - وساطة دولية، تضافر إقليمي، أخذ باللامركزية، أو مفاوضات دستورية - أن ينقذ العراق من حرب أهلية شاملة وأن ينقذ إدارة بوش من إخفاق في السياسة الخارجية؟» (*)

في تلخيص للأفكار التي عبر عنها المشاركون في هذه المائدة المستديرة اخترنا

Larry Diamond [et al.]. «What to do in Iraq: A Round table.» *Foreign Affairs*: July - August 2006.

مجلة الشؤون الخارجية هي مجلة مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي (Council for Foreign Relations) (نيويورك) وكانت قد نشرت مقالة تحليلية تحت عنوان: «ننظر إلى بغداد فنفكر بسايغون» (Seeing Baghdad, Thinking of Saigon)^(٢). والمائدة المستديرة التي نلخصها هنا عُقدت لمناقشة الأفكار الواردة في هذا التحليل وبحضور

Stephen Biddle, «Seeing Baghdad, Thinking of Saigon.» *Foreign Affairs* (March-April 2006). (٢)

(*) الحرف الأسود للتأكيد مضاف من المستقبل العربي.

أن نأخذ من كل مشارك أهم ما قال:

لاري دياموند(*)

لا بد للولايات المتحدة من انتهاج استراتيجية تختلف عن استراتيجية الفتنة... فلو أنها عمدت ببساطة إلى نقل المسؤولية عن مناهضة المقاومة إلى الجيش العراقي الجديد وقوات الشرطة العراقية لكان من شأنها أن تخاطر بشعال الصراع الطائفي، إما بتمكين الشيعة والأكراد من ذبح السنة، أو بتمكين حضان طروادة مليء بالمقاومين السنة من التغلغل في قوى الأمن المتعددة الأغراض وتقويضها...

تحتوي حرب العراق أيضاً على عنصر مهم من المقاومة الوطنية. ويفتقد المرء قطعة جوهريّة من اللغز، وسبباً من أسباب صعوبة احتواء الصراع، إذا لم يدرك أن عراقيين كثيرين (أغلبهم من السنة) يقاتلون إلى حد كبير لأنهم يعتقدون أنهم يشنون حرب مقاومة ضد المحتلين الأمريكيين وضد «الخونة» العراقيين الذين يتعاونون معهم...

وتعتقد المقاومة السنية أن الولايات المتحدة تسعى إلى إقامة قواعد عسكرية دائمة في العراق من أجل السيطرة على البلد ونفطه لأجل غير مسمى. وبعض القوى المتمردة الأكثر تطرفاً من الناحية العقائدية – مثل القاعدة في العراق – ستقاتل حتى الموت لطرد الأمريكيين وتحقيق هدفها الخاص

وهو السيطرة... ويتمثل اثنان من أهداف هذه المجموعات في الحصول على بيان لا لبس فيه من جانب واشنطن بأنها لن تسعى إلى إقامة قواعد دائمة في العراق، وأن تضع جدولاً زمنياً لانسحاب عسكري أمريكي كامل...

لا تملك الولايات المتحدة من النفوذ ما يحقق الحلول الوسط للمسائل الأساسية التي تقسم العراق: البنية الدستورية، توزيع عائدات النفط، والأمن... وربما يكون البديل الوحيد الباقي هو أن تسرّع الولايات المتحدة جهودها للوساطة، وأن تفعل هذا بمساعدة دولية... مشاركة نشطة من الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي لمساعدة السفير الأمريكي زالماني خليل زاد وغيره من كبار المسؤولين الأمريكيين للقيام بدور السماسرة في التوصل إلى حلول وسط سياسية.

جيمس دوبنز(**)

لو أن إدارة بوش استخدمت البوسنة أو كوسوفو كنموذج للعراق لكانت أدركت أن تحقيق الاستقرار وإعادة البناء في هذا البلد سيتطلب قدراً أكبر من الوقت والمال والقوة البشرية مما خطت...

لقد أدت مماثلة تاريخية خاطئة إلى خيارات لسياسة خاطئة، فحينما سقطت بغداد بدا في البداية أن إدارة بوش تنظر إلى

(*) هو زميل أقدم في معهد هوفر (Hoover Institute). وآخر مؤلفاته: *Squandered Victory: The American Occupation and the Bungled Effort to Bring Democracy to Iraq*.

وللإطلاع على عرض موجز لهذا الكتاب، انظر: **المستقبل العربي**، السنة ٢٨، العدد ٣٢٤ (شباط/فبراير ٢٠٠٦)، ص ١٨٣-١٨٥.

(**) مدير مركز الأمن الدولي والسياسة الدفاعية في مؤسسة «راند» (Rand)، وهو المؤلف الرئيسي لدراسة المؤسسة تحت عنوان: *The Rand History of Nation - Building* (2005) (المحرر).

أمريكا الوسطى في ثمانينيات القرن العشرين، حيث كان التدخل العسكري الأمريكي مقتصرًا بدرجة كبيرة على المشاورة والتدريب.

حاييم كاوفمان(*)

إن ثلاثة حروب أهلية متباينة تدور رحاها في العراق الآن: الأولى بين قوات التحالف التي يقودها الأمريكيون والمتمردون المناهضون للحكومة، والثانية بين الأكراد وجماعات أخرى في شمال العراق، والثالثة بين العرب السنة والعرب الشيعة في وسط البلاد. وهذه الأخيرة هي الأهم لأنها تمثل الاحتمال الأكبر لكارثة إنسانية ولزعزعة استقرار طويل الأمد بالمثل في العراق وفي المنطقة...

إن ستيفن بيدل يقدم تشخيصاً سليماً للموضع ولكنه يقدم الوصفة الخطأ لمعالجته...

إن محاولة خلق قوة أمنية عراقية في الحقيقة لن تفلح لأنه لا توجد حركة سياسية شرعية قوية موالية لـ «العراق»...

في الوقت نفسه فإن الولايات المتحدة ستبقى القوة العسكرية الأقوى في العراق. وبهذه الصفة سيبقى عليها واجب واحد يتعين أن تؤديه: الالتزام الأخلاقي بأن تقلل إلى أدنى حد الضرر - الإنساني وغير ذلك - الذي يسبب التطهير العرقي. وهذا أيضاً لما فيه مصلحة الأمن القومي الأمريكي: فالحكومة الأمريكية مُلزمة - وستظل مُلزمة - من جانب غالبية العالم عن كل الأضرار التي تلحق بشعب العراق...

العراق على أنه جائزة ربحتها وليس عبئاً آل إليها. لقد حظرت على الشركات الفرنسية والألمانية والروسية عقود إعادة البناء، ونبذ الرئيس جورج و. بوش جهود رئيس الوزراء توني بلير لاعطاء الأمم المتحدة دوراً مركزياً في المهمة. اختارت الولايات المتحدة أن تعهد إلى نفسها بدور قوة الاحتلال، وأقامت وجودها العسكري المستمر على قوانين الصراع المسلح وليس على ميثاق الأمم المتحدة. وقد انعكست كل هذه المواقف لاحقاً، ولكن حينما حدث هذا كانت قد برزت مقاومة مسلحة واختفت ببروزها أية فرصة لجذب بقية المجتمع الدولي إلى العراق بدرجة أكبر من العمق...

لقد قدم بيدل وأولئك الذين يستخدمون تشبيه فييتنام حججاً مجردة جيدة لدعوتهم إلى دور عسكري أمريكي أعمق وأضخم وأطول في العراق. لكن لسوء الحظ فإن الأساس السياسي لالتزام كهذا غائب في المجتمعين الأمريكي والعراقي على السواء، فالمساعدة الاقتصادية الأمريكية للعراق نضبت بالفعل إلى حد كبير. والوجود العسكري الأمريكي يبدو من المرجح أن يتقلص خلال السنة القادمة.

ليس من المرجح أن يدعم الشعب الأمريكي أو الشعب العراقي دوراً عسكرياً أضخم وأطول في العراق... وفي ما يخص دور أمريكا العسكري مستقبلاً في العراق فإن المثال الأكثر قرباً يمكن أن يكون الحملات المناهضة للمقاومة في

ينقذ إدارة بوش من السقوط بدرجة أعمق في المستنقع هو اعتقاد ينم عن إفلاس أخلاقي واستراتيجي...

... ينبغي أن تستعد القوات الأمريكية إلى خطة انسحاب منظم وآمن وإعادة انتشار للقوات الأمريكية، خطة تنفذ قبل نهاية عام ٢٠٠٨.

ينبغي - في النهاية - أن تعزز السلامة الإقليمية للعراق مجدداً من خلال معاهدة عدم اعتداء إقليمية، معاهدة ينبغي أن تنجز عبر دبلوماسية دولية. وكخطوة أولى ينبغي أن يعقد مؤتمر للأمن الإقليمي حيث يتم فيه تشجيع جيران العراق - بمن فيهم إيران - على التعهد باحترام حدود العراق ونظامه الفدرالي ووضع إجراءات لتنفيذ معاهدة عدم الاعتداء...

وينبغي أن تسبق الأمم المتحدة - وبخاصة الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن، إضافة إلى الاتحاد الأوروبي - هذا المؤتمر بتحريك دبلوماسي مناسب وأن تساعد في دعم نوع ما من الآلية الإقليمية لتأمين احترام معاهدة عدم الاعتداء المقترحة.

رد ستيفن بيدل

لقد حان الوقت لكي تبدأ الولايات المتحدة في تفعيل نفوذها إلى حده الأقصى. وقد لا يكون استعراض العضلات العسكرية هو وحده السبيل إلى ذلك. ولكن من المحتمل أن يكون سبيلاً ضرورياً إليه... ولكن عليها أن تنظر جدياً في الاستنجد بدورها

وفي المدى البعيد سيكون من المهم أن تؤمن (الولايات المتحدة) أن يبقى الشيعة الجانب الأقوى عسكرياً، ذلك أن أي تغير في ميزان القوة يمكن أن يشجع الجماعات السنية على تحديهم من جديد، وتنحو نتيجة حرب أهلية تقع نحو استقرار أكبر حينما يكون الطرف الأكثر رضى هو أيضاً الطرف الأقوى...

لكن إذا ما انتهت حروب العراق الطائفية قد يصل السنة العراقيون العاديون إلى قناعة بأن الخطر الأكبر على رفاهيتهم ليس الشيعة العراقيون أو القوات العراقية، وإنما الجهاديون الأجانب الموجودون بينهم. وعندئذ فإنهم ربما يبدأون في العمل لاستعادة النظام في بلدهم.

ليزي غيلب (*)

سيظل بوش قادراً على تجنب هزيمة في العراق إلى أن يسلم المشكلة إلى الرئيس القادم في عام ٢٠٠٩. في الوقت نفسه سيظل العراق والولايات المتحدة يترنحان على نحو مأساوي خلال السنوات الثلاث القادمة - ما لم يقرر الكونغرس، إذا وصل إلى حالة من الإحباط التام مدعوماً برأي عام أمريكي يزداد تخلصاً من الأوهام، أنه حصل على كفايته من المستنقع ويقرر بالتالي أن يعطي تفويضاً بانسحاب فوري...

ربما يكون الوضع قد وصل إلى النقطة التي لم تعد تجدي فيها أية استراتيجية مهما بلغت براعتها على الورق. ولكن الاعتقاد بأنه لا يوجد خيار

(*) الرئيس الشرقي لمجلس العلاقات الخارجية الأمريكية (المحرر).

(حرب الاستقلال) (١٧٧٥ - ١٧٨٣) مروراً بالحرب الأمريكية - المكسيكية (١٨٤٦ - ١٨٤٨) والحرب الأمريكية - الحرب الأهلية (١٨٦١ - ١٨٦٥) والحرب الأمريكية - الإسبانية (١٨٩٨) حتى حرب الخليج الأولى (١٩٩١). وبعد الجانب التاريخي تركز اهتمام المؤلفة ديورا كيدويل على حرب العراق الحالية.

والدلائل الواضحة من هذه الورقة أن دور المتعاقدين أو المقاولين من القطاع الخاص - كشركات أساس - في حرب العراق لا يسجل فحسب اتساعاً غير مسبوق، إنما يحمل معه كمّاً هائلاً من المشكلات المعقدة للقوات المسلحة الأمريكية للأهداف الاستراتيجية الأمريكية في هذه الحرب. مع ذلك فإنها تكتفي بالقول - بلهجة يغلب عليها طابع التحذير الموجه للقادة العسكريين بخاصة - إن شركات القطاع الخاص العسكرية ليست علاجاً ناجعاً لكل المشكلات اللوجيستية، وهو ما يبدو أنه ظن هؤلاء القادة، بدليل ميلهم إلى التوسع في استخدام هذه الشركات على الرغم مما يصاحبه من مشكلات، أمنية ومالية وإدارية، بل على الرغم مما أوضحت تطورات الحرب الأمريكية في العراق من أن شركات القطاع الخاص (أمريكية وغير أمريكية) التي زاد الاعتماد عليها في العمليات العراقية هي من أكبر مصادر الفساد والهدر المالي وفقاً لتقارير أمريكية ودولية عديدة.

وتعرب كيدويل عن أملها في أن يكتسب خبراء الشؤون اللوجيستية والمقاولون والقادة العسكريون الذين تصفهم جميعاً بأنهم يتحملون مسؤولية هذه العمليات في الصراع الراهن ضد

العسكري كأداة لدفع الأطراف إلى التوصل إلى تسوية بدلاً من التمهيد لها لكي تفك ارتباطها.

بهذه الفقرة ينهي بيدل رداً يقع في أربع صفحات.. ما يعني أنه تمسك بكل ما قال في مقالته السابقة المشار إليها في بداية هذا العرض.

(٢)

Deborah C. Kidwell. *Public War, Private Fight?: The United States and Private Military Companies*. Fort Leavenworth, Kan.: Combat Studies Institute Press, [2005]. viii, 79 p. (Global War on Terrorism Occasional Paper; 12)

السلسلة من الأوراق البحثية التي يصدرها معهد الدراسات القتالية (التابع لقيادة التدريب والعقيدة في الجيش الأمريكي) تهدف - وفقاً لتعريف المعهد نفسه - إلى «تقديم حالات للدراسة لأغراض استخدام من جانب القادة العسكريين الحديثين لتساعدتهم على إعداد أنفسهم وجنودهم للعمليات في الصراع الراهن».

والورقة الراهنة - بعنوان «حربُ قطاع عام، قتالُ قطاع خاص: الولايات المتحدة وشركات القطاع الخاص العسكرية» - تتفحص اتساع نطاق استخدام القوات المسلحة الأمريكية للمقاولين (المتعاقدين) لمساعدتها على تلبية المتطلبات اللوجيستية الضخمة والمعقدة للقوة العسكرية الحديثة.

والمؤلفة تفحص استخدام شركات القطاع الخاص العسكرية في أبعاده التاريخية ابتداء من عهد الثورة الأمريكية

المتعاقدة مع القوات المسلحة تتنوع في أحجامها وقدراتها من أضخم المؤسسات وأعقدها إلى الأفراد الذين يشاركون بأدوار محدودة للغاية (المترجمون وتقنيو الصيانة ومحللو المعلومات، على سبيل المثال).

وتستنتج الورقة البحثية أنه بينما قد تكون لهذه الشركات فوائدها، إلا أن الحلول التي تقدمها تتسم أحياناً بأنها «ذات قابلية شديدة للاشتعال السريع»، ولهذا تثير قلقاً من نواح عقائدية وقانونية وأخلاقية ومعنوية. وهي «في تقديمها خدمات لعملائها (أي للعسكريين) لا تحركها بالضرورة حوافز قوية من المصلحة الوطنية أو الإنسانية». وربما لهذا توصي الورقة «صانعي السياسة بأن يعيدوا النظر باستمرار في الدروس المستفادة من خبراتهم، وأن يتفحصوا الجوانب النظرية لهذا الموضوع، وأن يراجعوا السياسة والعقيدة العسكرية إذا أرادوا أن تدير الولايات المتحدة مصادرها بطريقة تتميز بالكفاية، وأن تحافظ على القدرات العسكرية من أجل تحقيق أهداف الأمن القومي» □

الإرهاب «تبصراً مفيداً في شأن ما يفيد وما لا يفيد خلال اتساع نطاق العمليات القتالية». وهي ترى - مع ذلك - ضرورة زيادة الأبحاث والدراسات حول دور هذه الشركات في دعم القوات النظامية، وبخاصة أن بحثها في هذه الورقة ينصب على تجربة الجيش الأمريكي ولا يتناول فروع القوات المسلحة الأخرى. وهي تنبه في تمهيدها للبحث إلى أنها أنفقت أوقاتاً أقل على إيضاح الجوانب الإيجابية لدور المقاتلين في دعم القوات، في حين أن الأبحاث الأخرى تميل إلى مناقشة مزايا هذا الدور.

ولعل الورقة تبلغ أقصى ما تستطيع في التعامل صراحة مع الموضوع في قولها إن شركات القطاع الخاص المتعاقدة لتقديم خدمات للقوات المسلحة النظامية لا تختلف عن غيرها في أن حافز الربح هو المحرك الأساسي لها. وهي فضلاً عن هذا تختار موظفيها وتحدد واجباتها طبقاً لسياسة الشركة. كما إنها تستخدم فلسفات الإدارة الراهنة، ومنها على وجه التحديد الإعلانات الجريئة والبحث عن العمالة الرخيصة من خارج البلد الذي تنفذ فيه عقودها. كما تلاحظ أن شركات القطاع الخاص